

الفصل الرابع

المنشآت الدراسية

obeikandi.com

الاستحكامات الحربية والعمائر الدينية

يحدثنا اليعقوبى عن استحكامات المدينة الحربية فى العصر العباسى فيقول «وهى مدينة على سور وأبواب حديد وخنديق، أمر ببناء السور المتوكل على الله»^(١)، والواقع أن إحكام استحكامات المدينة الحربية خلال تلك الفترة قد ارتبط إرتباطاً وثيقاً بتعرضها لهجوم الروم شأنها فى ذلك شأن الثغور المصرية التى شهدت هى الأخرى إزدهاراً كبيراً فى منشآتها الحربية فى ذات الفترة عقب احتلال دمياط^(٢) فى عام ٢٣٨هـ / ٨٥٣م، حيث شيد الخليفة العباسى المتوكل على الله حصناً بها فى عام ٢٣٩هـ / ٨٥٣م، كما شيد حصنين آخرين فى الفرما^(٣) وتيس^(٤)، وفى ذلك قال المقرئى «وانفق فيه وفى حصن دمياط والفرما ما لا عظيماً»^(٥)، وقد كشفت الحفائر الأثرية^(٦) التى أجريت بالمدينة عن آثار هذه الاستحكامات الحربية العباسية من أسوار وخنادق وقلعة عثمانية^(٧)، حيث تظهر فى مناطق مختلفة من المدينة. (شكل ١)

هذا فيما يتعلق بالعمارة الحربية فى مدينة برقة، أما فيما يتعلق بالعمارة الدينية فتدل الحفائر الأثرية التى تقدم ذكرها على أن موقع المسجد الجامع القديم الذى يرجع فى إعتقاده إلى عهد عمرو بن العاص كان داخل أسوار المدينة الأثرية فى المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلى موقع الزاوية السنوسية، حيث كان من الطبيعى أن يشيد عمرو بن العاص مسجداً جامعاً بالمدينة ومساجد أخرى تؤدى فيها الصلوات غير الجامعة على غرار منشآته الدينية فى حاضرة مصر مدينة القسطنطينية، خاصة وأن التجانى يذكر لنا مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس، يقع أحدهما فى الموضع^(٨) الذى يقوم عليه حالياً مسجد أحمد باشا القرمانيلى ١١٥٠هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨م (شكل ٣) بما نصه «ويقابل باب الستارة

المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة . . وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم . . وهناك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله^(٩)، ويقع الآخر بمدينة جنزور إحدى ضواحي طرابلس بما نصه «فحللنا بمنزل زنزور، فرأيت غابة متسعة الأقطار ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون . . وبها مع ذلك نخل كثير . . وبها أيضا من شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير، وهي كثيرة القصور . . وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص، رحمه الله، أسسه»^(١٠)، كما أشار الحميري^(١١). إلى مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة^(١٢)، كذلك تضم مدينة غدامس^(١٣) مسجدا^(١٤) ينسب إلى القائد عقبة بن نافع. (شكل ٤)

مسجد أحمد باشا القرمانيلى ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م

جاء فى الموسوعة الأثرية الليبية (الجزء الأول) فيما يتعلق بالموقع والتاريخ يعد هذا الجامع من أكبر جوامع طرابلس الغرب وأغناها زخرفة، شيده أحمد باشا القرمانيلى مؤسس الأسرة القرمانيلى فى طرابلس الغرب فى عام ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م، وقد شيد هذا المسجد على انقاض مسجد عمرو بن العاص الذى تقدم ذكره، ويقع فى مواجهة السراى الحمراء فى الجهة الجنوبية الغربية منها، وقد الحق به مدرسة، ويضم ضريحا، وتبلغ المساحة الكلية له ٢٥٥٢ مترا مربعا. (شكل ٣)

يشتمل المسجد كما يتضح من المسقط الأفقى على بيت للصلاة تبلغ مساحته ٤٠٠ مترا مربعا، ويتوسط بيت الصلاة الجامع تقريبا، تغطيه القباب الضحلة، وهى مقامة على مثلثات كروية تكسوها زخارف جصية تنوعت ما بين أشكال هندسية ونباتية، وهى عبارة عن خمس وعشرين قبة، ويشتمل المسجد على محراب رخامى مجوف يكتنفه عمودان من الرخام الأبيض، ويزدان المحراب ببلاطات من القاشانى تزدان بدورها بزخارف نباتية، ويعلو البلاطات شريط من الكتابة الكوفية البارزة تمثل آية قرآنية نقشت على الجص، يحيط بالمحراب إطار من بلاطات القاشانى.

ويشتمل المسجد على منبر مصنوع من الرخام الأبيض، كما يشتمل على مثذنة مثمثة، وتعلوها شرفة، ويعلو الشرفة بدن قصير يتوصل منه إلى أرضية الشرفة، ثم تنتهي المثذنة بقمة مخروطية من الخشب.

جامع وضريح عقبة بغدادمس (شكل ٤)

جاء في الموسوعة الأثرية الليبية (الجزء الثانى) أن هذا الجامع يقع بشارع أولاد بالليل بمدينة غدامس، وهو عبارة عن ساحة مستطيلة مكشوفة - يبلغ مقاييسها ٣١٦٠ X ١٨١٥ م، ولم يتبق من معالم الجامع القديم سوى المحراب وأجزاء من أبدان اعمدة حجرية صغيرة، ويقع المحراب الأسمى فى الركن الشرقى من الجدار الجنوبى، وهو عبارة عن تجويف يبلغ عمقه ١٥٠ م، وإتساعه ٨٠ سم، يتوجه عقد حدوي يرتكز على عمودين يكتنفان جانبى المحراب، يعلو الأيمن منهما تاج يزدان بزخارف نباتية محورة، وإلى يمين المحراب جزء من الجدار القديم يشتمل فى أسفله على إرتداد حائطى قليل العمق ٢٠ سم يتوجه عقد نصف دائرى، بينما القسم العلوى منه يشتمل على خمس طاقات نافذة صغيرة، وإلى الغرب من المحراب القديم أوجد المعمار دخلتين معقودتين أكثر ارتفاعا من المحراب الأول ولكنهما أقل عمقا، فيبلغ عمق تجويف الأولى إلى اليسار ٩٠ سم، بينما الثانية ٦٠ سم، وقد جاءت عقودهما على هيئة حدوية، وتستخدم الحنية اليمنى كمئبر من درجتين، وهاتان الحنيتان أحدث عهدا من المحراب الأسمى، ويوجد على بعد حوالى ٢٥٠ م من جدار القبلة أجزاء صغيرة من بدن عمودين، تبلغ المسافة بينهما ٥٠ م، بينما المسافة بين العمود الأول والجدار الشرقى الحالى ٤ م. وترجح الموسوعة أن جدار القبلة كان ممتدا إلى ناحية الشرق، وان طول جدار القبلة كان حوالى ١٦ م، اذان المحراب الأسمى، والذي يقع فى الركن الشرقى من الجدار الجنوبى الغربى، لا بد وأنه كان ينتصف جدار القبلة كما هو مألوف، يؤيد ذلك أنه عندما صار إمتداد جدار القبلة إلى الناحية الغربية أضيف محراب آخر فى منتصف هذا الجدار.

ويعد ما تبقى من جامع عقبة أقدم الآثار الإسلامية بمدينة غدامس، أما الضريح فيقع عند إمتداد كل من الجدار الجنوبي الغربى والشمالى الغربى للجامع، يشغل مساحة شبه مربعة، حيث يبلغ طول كل من الجدار الشمالى والجنوبى ٤م، بينما يبلغ كل من الجدار الشرقى والغربى ٣٥٠م، وذلك من الخارج، أما من الداخل فيبلغ طول كل من الجدار الشمالى والجنوبى ٣م، بينما كل من الجدار الشرقى والغربى ٢٦٠م، ويتوصل إلى داخله من خلال فتحة باب فى الجانب الجنوبى الشرقى مقاييسها ٢٥ X ٦٣سم، يتوجها عقد مستقيم.

ويغطى الضريح قبة مقامة على مثلثات مقلوبة، وتشتمل القبة على رقبة دائرية، أما القبة فذات قطاع مدبب قليلا.

وقد اختلف حول نسبة هذا الضريح فالبعض ينسبه إلى القائد عقبة بن نافع، والبعض ينسبه إلى عقبة بن عامر الفهرى، وهناك أبو مسعود عقبة البدرى، وترجح الموسوعة أنه لأبى مسعود عقبة بن رافع الذى توفى بأفريقيا، حيث أن عقبة بن نافع توفى فى تهودة على يد كسيلة زعيم البربر وقبره هناك، وأقيم هناك أيضا جامع يعرف بجامع عقبة، أما عقبة بن عامر فقد توفى بمصر ودفن بها، وتضيف الموسوعة أن الضريح الحالى لا يرجع إلى هذه الفترة المبكرة، بل هو أحدث عهدا.

ضريح الصحابى رويغ بن ثابت الأنصارى

هو الصحابى رويغ بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثة الأنصارى، من بنى مالك بن النجار، سكن منطقة الجنباب فى نواحي المدينة المنورة، ومنذ أن أسلم وهب نفسه للجهاد، والدعوة إلى الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، والشام، ومصر، وأفريقية، فقد جاهد تحت امرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى معركة خيبر وحنين، كما كان ضمن الصحابة الذين دخلوا مصر ضمن جيش القائد عمرو بن العاص، وكان هذا الجيش هو الذى فتح بلاد الشام، ثم استطاع فتح مصر فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، قال ابن عبد الحكم عند ذكره من اختط حول

المسجد الجامع مع عمرو بن العاص، «واختط رويغ بن ثابت وعقبة بن كريمة الأنصاريان. . واختط رويغ بن ثابت الأنصاري أيضا الدار التي صارت لبني الصمة. وتوفى رويغ بن ثابت ببرقة وكان قد وليها»^(١٥).

وكان الصحابي رويغ بن ثابت في طليعة جيوش الفتح في أفريقية، ثم ولاءه والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري أسفل الأرض، وهي المنطقة الواقعة بين الفسطاط والإسكندرية، ثم سار صحبة معاوية بن حديج لفتح أفريقية في عام ٤٥ هـ/ ٦٦٥م، وفي هذه الحملة ولى رويغ بن ثابت طرابلس الغرب فأشرف على الحملة البحرية لغزو صقلية، ثم تم تكليفه من قبل معاوية بن حديج بغزو جزيرة جربة، وتم له النصر، ومن ثم قام بتنظيم شئونها وجعلها تابعة لطرابلس الغرب، ثم اضطر نتيجة اضطراب الأحوال السياسية إلى العودة لبرقة في إنتظار حملة جديدة لفتح باقى أجزاء أفريقية، وظل بها حتى توفى^(١٦).

أشارت المصادر التاريخية ونصوص الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى إلى ضريح للصحابي رويغ بن ثابت بمدينة برقة (المرج حاليا)، حيث أورد المؤرخ ابن عبدالحكم فى أول إشارة لمكان دفنه ما نصه «وتوفى رويغ بن ثابت ببرقة وكان قد وليها»^(١٧)، ويتفق ما أورده البكرى فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى ونصه «ومدينة برقة قبر رويغ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١٨). وما ورد على لسان ابن عبد الحكم، كما يتفق ما أورده ياقوت الحموى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ونصه «وفى مدينة برقة قبر رويغ صاحب النبى صلى الله عليه وسلم»^(١٩). وما ورد فى روايتى ابن عبدالحكم والبكرى، ويشير التجانى فى رحلته إلى موضعين أحدهما مدينة برقة، والآخر الشام بما نصه عند ذكره جزيرة جربة «وأول من أفتح هذه الجزيرة (جربة) فى أول الإسلام رويغ بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثة الأنصاري من بنى مالك بن النجار وهو من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن سكن مصر منهم، وكان معاوية امره على طرابلس وذلك سنة ست وأربعين فغزا منها أفريقية سنة سبع وأربعين ووصل إلى جربة فأفتحها ثم رجع

من عامه فمات فى بركة وقبره بها، ويقال بل مات بالشام»^(٢٠)، ويعد التجانى أول من أشار إلى إحتمال دفنه ببلاد الشام، حيث أجمعت كافة الروايات التاريخية قبله أنه توفى ببرقة، ويتطابق ما أورده ابن الأثير^(٢١) فى أسد الغابة وما ذكره التجانى فى رحلته، ويشير الحشائشى فى رحلته إلى وفاته بمدينة المرج (برقة قديماً) بما نصه «وهناك مكان يقال له المرج . . به أسواق وبناءات وهو فى غاية الخصب . . وبه قبر سيدنا رويفع بن ثابت الصحابى رضى الله عنه»^(٢٢).

مما تقدم يتضح أن كافة الروايات التاريخية سواء فى المصادر التاريخية أو كتب الرحالة أو كتابات الجغرافيين تنص على وفاة الصحابى رويفع بن ثابت ودفنه بمدينة بركة، غير أن هناك رواية^(٢٣) أخرى يتناولها كبار السن من سكان مدينة البيضاء وما حولها، وتروى عن طريق التواتر تقول : أنه دفن بالبيضاء، حيث تذكر الرواية أن القبر اندثر بالبيضاء إلى أن قدم شخص من بلاد المغرب يسمى محمد بن عياد الشريف واستقر بنواحي مدينة البيضاء، راغباً فى تعليم الصغار القرآن الكريم فتحمس له شخص يدعى سليمان بو مقطوعة، حيث تكفل برعاية الشيخ، وذات يوم عثر الشيخ على حجر مكتوب عليه «هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام بإشهاره. ورجب فى بناء مقام عليه، وتكفل سليمان بعملية البناء وعرف بسليمان بوموصله، والواقع فإن مدينة البيضاء تشتمل على هذا الضريح الحديث البناء (شكل ٥)، ويحتفظ متحف الآثار بمدينة البيضاء بأربع صور لهذا الضريح. (لوحات ١-٣)



هوامش الفصل الرابع

- (١) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٧.
- (٢) دمياط : جاء تشييد حصن دمياط عندما ملك الروم المدينة وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين فى عام ٢٣٨ هـ/٨٥٢م، حيث قام الخليفة العباسى المتوكل على الله بتشيد هذا الحصن فى عام ٢٣٩ هـ/٨٥٣م، وقد بنى بالحجر.
- د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٢٤٨.
- (٣) الفرما : شيد الخليفة المتوكل على الله العباسى أيضا حصنا بمدينة الفرما تولى الإشراف عليه والى مصر عنبسة بن اسحاق فى نفس عام بناء حصن دمياط حتى يحمى المدينة من هجوم الروم بعد الفطائع التى ارتكبها الروم فى دمياط، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما قاله يحيى بن الفضل من شعر للخليفة المتوكل.
- فلا تنسنا أنا بديار مضيعة بمصر وأن الدين قد كاد يذهب
- د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية، ص ٢٤٨.
- (٤) تنيس : ظلت مدينة تنيس بدون سور يحميها حتى عام ٢٣٠ هـ/٨٤٤م عندما شرع والى مصر عيسى بن منصور فى خلافة الواثق بن المعتصم فى تشيد سورها، وكان الفراغ من عمارته فى عام ٢٣٩/٨٥٣م فى ولاية عنبسة بن اسحاق. مزيد من التفاصيل انظر :
- د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية، ص ٢٤٩.
- (٥) المقريزى : (تقى الدين أبى العباسى أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٨٠.

Abdussaid, Abdul Hamid : Barqa Modern El-Merj, Estrattoda "Libya (٦) Antiqua", Vol. VIII, 1971, The Department of Antiquities - Tripoli, P. 126.

(٧) قلعة مدينة المرج : تعد هذه القلعة إحدى القلاع الحصينة التي شيدها العثمانيون خلال العصر العثماني الثاني (١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ / ١٧١١ - ١٩١١ م)، في المنطقة الشرقية من ليبيا، فقد شيّدوا قلاعاً في مدن درنة والمرج وتوكره والقيقب وبنغازي، وقد إندرثت قلعة المرج عقب زلزال عام ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م، وقد أثبتت الحفائر الأثرية موقعها وحددت بعض معالمها.

Abdussaid, A.: Barqa, p. 126.

(٨) اتوري روسي : ليبيا، ص ١٢٢، شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤ م، ص ٥٣.

(٩) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) : رحلة التجاني (تونس - طرابلس ٧٠٨/٧٠٦ هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨١ م، ص ٢٤٥.

(١٠) التجاني : رحلة ، ص ص ٢١٤ - ٢١٥.

(١١) الحميري : الروض، ص ص ٤٧ - ٤٨.

(١٢) جبل نفوسة : بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة جبال في المغرب، وهو مدينة قديمة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها جامع وسوق، غزاها عقبة بن نافع، وليس في جميع البلاد أطيب هواء منها ولا أجمل منظراً ولا أكثر أنهاراً وأشجاراً وثماراً.

ياقوت الحموي : معجم البلدان، مج ٤، ص ص ٨٠٠ - ٨٠١، الحميري : الروض، ص ٥٧٨.

(١٣) غدامس : بعد ما تبقى من جامع عقبة بن نافع بمدينة غدامس أقدم الآثار الإسلامية بها، ويتمثل ما تبقى في المحراب وأجزاء من ابدان أعمدة حجرية صغيرة، وتقع المدينة في وسط الجانب الغربي من ليبيا، وتعد واحدة من أهم مراكز الحضارة الليبية على مر العصور، وقد قدر لها أن تكون محط أنظار الغزاة منذ غزوة القرطاجيين، حيث توالى عليها الحملات حتى نهاية العصر العثماني، وتتميز المدينة في العصر الإسلامي بإشتمالها على العديد من المنشآت التي تنوعت ما بين جوامع ومساجد

- وزوايا، وبلغ عدد المساجد بها أحد عشر مسجداً.
- د. على مسعود البلوشى وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا، جـ٢، ص ص ٦٧ - ٧٣.
- (١٤) د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ٢، ص ص ٧٢ - ٧٣.
- (١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ص ١٠٩ - ١١٠، مزيد من التفاصيل انظر :
- د. محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح الإسلامى فى ليبيا وجهها د زهير البلوى ورويفع الأنصارى، البيضاء، ١٩٩٢م، ص ص ١٣٥ - ١٦٠.
- (١٦) د. محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح، ص ص ١٤٤ - ١٥٠.
- (١٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١١٠.
- (١٨) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥٠.
- (١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ١، ص ٣٨٨.
- (٢٠) التجانى : رحلة، ص ١٢٤.
- (٢١) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن بن أبى الكرم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م : أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار الشعب، مج ٢، ص ٢٤٠.
- (٢٢) الحشائشى : رحلة، ص ص ١٩٦ - ١٩٧.
- (٢٣) محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح، ص ١٦١.

